فصلٌ في ذِكْر يَعقوب عليه السَّلام[١]

يعقوب: اسم أعجمي. وفي «التوراة» إسرائيل رجل رزين، ويعقوب أبو الأسباط كلِّهم.

واختلفوا في تسميته إسرائيل على أقوال:

أحدها: أنه «إسرا» بمعنى عبد و«إيل» هو الله، مثل جبريل وميكائيل، قاله ابن عباس[٢].

والثاني: أنَّ معناه صفوة الله، قاله مجاهد.

والثالث: أنه كان يخدم بيت المقدس ويوقد قناديله فيظهر جنيٌّ فيطفئها، وكان اسم الجني إيل، فكمن له يعقوب ليلة فأسره وشدَّه بسلسلة، وأصبح الناس يقولون يعقوب أسر إيل، ثم قالوا: إسرائيل.

وفيه لغات تكلَّمت بها العرب ذكرها في «المعرَّب» فقال: إسرائيل وإسرال وإسرائين بالنون، كما قالوا: جبرين وإسماعين[٣].

وقال الجوهري: إسرائيل اسم، يقال: هو مضاف إلى إيل[٤].

واتفقوا على أن يعقوب ولد في زمان الخليل عليه السلام، وأنه أرسله إلى الشام، وكان إسحاق قد أوصاه أن لا يتزوَّج امرأة من الكنعانيين، وأمره أن يتزوَّج إلى خاله لابان بن ناهر بن آزر، وكان يسكن الفَدَّان من أرض حرَّان.

وقد ذكرنا أنَّ يعقوب هرب من عيصو إلى حرَّان، فبينا هو في بعض المنازل نائم على حَجَر رأى سلماً منصوباً من السماء إلى الأرض، والملائكة تنزل منه وتعرُج فيه، وقال له الله تعالى: يا يعقوب، قد أورثتك الأرض المقدَّسة وذريَّتك من بعدك،

---

(١) انظر قصته في: «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٢٩، والمعارف ٣٩، و«تاريخ الطبري» ١/ ٣١٧، و«البدء والتاريخ» ٣/ ٦٥، وعرائس المجالس ١٠٣، و«المنتظم» ١/ ٣٠٩، و«الكامل» ١/ ١٢٧، والبداية والنهاية ١/ ٤٤٨.

(٢) انظر تفسير الطبري (٧٩٨)، والدر المنثور ١/ ٦٣.

(٣) «المعرب» ص ٦٢.

(٤) «الصحاح»: (سرا).

وباركتُ فيك وفيهم، وجعلت فيكم الكتاب والحُكمَ والنبوَّة، ثم أنا معك حتى أردَّك إلى ذلك المكان، فانتبه وكان قد قرب من خاله، فلما جاء إليه زوّجه ابنتيه راحيل وليا، وكانت ليا هي الكبرى وراحيل هي الصغرى، وكانوا يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى ونزلت التوراة بتحريم ذلك.

ويقال: إنه لم يكن له مال، فزوَّجه ليا على خدمة سبع سنين، فرعى له الغنم ثم زوَّجه راحيل بعد ذلك، وكانت أحسن من ليا ـ وقيل: لايا ـ فلمَّا رآها لم تعجبه وقال: زوِّجني راحيل الحسناء فزوَّجه إيَّاها.

وقال السُّدي: لما قال له: زوِّجني إحدى ابنتيك على رَعْيِ سَبْع سنين قال: قد زوَّجتك، فلمَّا دخل بها لم تعجبه لأنها كانت دميمةً، فقال: وأين الحسناء؟ يعني راحيل فقال له: هل رأيت أحداً يزوِّج ابنته الصغرى قبل الكبرى؟ فاستخدمه سبع سنين، ثم دفع إليه راحيل.

وقال السُّدي: كانت راحيل غنية جميلة، ولايا ـ وقيل: رامين ـ فقيرة قبيحة، فاختار رامين لفقرها، فجمع الله له بين الأختين، ثم حُرِّم ذلك على لسان موسى، وقيل على لسان نبينا ﷺ.

ذكر أولاد يعقوب عليه السلام

قال وهب: ولَدت راحيل من يعقوب يوسف وبنيامين، ومعناه: ابن الوجعة، لأنها ماتت في نفاسها. وقال ابن جرير الطبري: معناه بالعربية شدَّاد[1]، والأول أصح.

وولد من لايا أو من رامين ليعقوب أربعة من الأسباط: روبيل ويهوذا وشمعون ولاوي. قال وهب: ولد ليعقوب من غير هاتين ستة أولاد منهم زبالون ويسجر. وقيل: إن زبالون ويسجر من لايا. وقيل: لايان، وأن لايا وهبت ليعقوب أمَتين إحداهما يقال لها: زلفى، والثانية: بلهة، فولدتا ستة من الأسباط كل واحدة ثلاثة، فأولاد يعقوب الذكور اثنا عشر ولداً. وكانت له ابنة يقال لها: رحمة، وقيل: دينا، وهي زوجة أيوب عليه السلام.

(١) «تاريخ الطبري» ١/ ٣١٧.

وقال علماء السير وابن عباس: وهؤلاء الأسباط في بني يعقوب كالقبائل في بني إسماعيل.

وقال السُّدي: أهل الكتاب يذكرون أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء، وأن روبيل أكبرهم ثم شمعون ثم يهوذا، وكان رئيسهم لاوي. وأن داود وعيسى من ولد يهوذا، وأن موسى وهارون من ولد لاوي بن يعقوب.

وقال السُّدي: ولما عاد يعقوب من عند خاله لابان خاف من أخيه عيصو فأعطاه من غنمه خمس مئة وخمسين، قاسمه ماله دفعاً لشره. وكان الله تعالى قد أوحى إلى يعقوب: لا تخف من عيصو فإني أحفظك منه كما حفظت أباك، فلما صانعه أوحى الله إليه: صانعت بالغنم ولم تطمئنَّ إلى قولي، وعزَّتي لأملِّكن ولد العيص ولدَكَ عدد ما صانعت، فملكت الروم ـ وهم من ولد عيصو ـ هذا المقدار، فأوَّل مُلْكهم إياهم خراب القدس، أخربوه واستعبدوا بني إسرائيل إلى زمان عمر بن الخطاب فكان خمس مئة وخمسين سنة[1]، وسنذكر وفاة يعقوب في أيَّام يوسف عليهما السَّلام.

(١) انظر مروج الذهب ١/ ٨٩.

obeikandl.com